

الوحش والذاكرة

ديوان ياسين طه حافظ

تحتل هذه المجموعة الشعرية مكانة خاصة وبارزة في الحركة الشعرية المعاصرة . واقول مكانة خاصة لأنها تختلف في بنائها ومضامينها عن المجموع الشعرية التي ظهرت في الفترة الاخيرة . بعض الشعراء تعودوا ان يكتبوا على رمل الشاطئ . وسرعان ما يأتي المد فيذهب بكلماتهم بعيدا . ولكن ياسين طه حافظ يكتب على الصخرة التي تقف قوية راسخة تعاقب الموج والريح . لقد حفر باظفاره ، مع مجموعة ناهضة من شعراء عراقيين ، كلماته . . حفر تقاطع قاسية مدعورة لانسان هذا العصر . وياسين يكتب كشاعر يعيش - في - العالم . وهذه ميزة تكاد لا نجدها الا عند نفر قليل من شعرائنا الشباب . فاكترهم يكتبون اشعارهم - في - غرفهم الخاوية الباردة . ولن يكون مصير مثل هذا الشعر بأفضل من مصير اوراق الخريف التي يطورها الشتاء بثلوجه ورماده . . فاذا ما فتحت الربيع لا نجد لها اثرا . لقد امتلأت صحافتنا « بهذيان » شعري وباشباح ترتجف باسمال مسكينة وقبعات فاقعة . . ليسوا اكثر من مهرجي سيرك هزيل . لقد تسللت اصوات « شعرية » طارئة على ساحات الشعر في امكنة اخرى ، وبدأت ترقص رقصاتها الفقيرة ، ثم انسحبت بهدوء . وقبل ان يساء فهم مقصدي احب ان اشير الى ان هذه الاصوات الطارئة لا يمكن ان تمثل باي حال من الاحوال الحركات الشعرية التجديدية التي بدأت خطواتها الاولى في فرنسا او ايطاليا . لقد استطاعت الحركة السوربالية والمستقبلية مثلا ان تقيم بناء فنيا شامخا . . وتمكنت من ان تصيف الى الشعر العالمي صفحات مجيدة جديدة . انما الشعر الهزيل الذي اراه شبعا باسمال وقبعة فاقعة هو « الشعر » الذي تلفو به اقلام صغيرة مما استطاع اصحابها ان يخطوا خطوة واحدة في طريق الثقافة الطويل والوعر . اني اقصد الاقلام الهزيلة التي تلبس لبوس الكهنة والرائدين، وليست اصواتها الا اصداء شائهة وبائسة لاصوات اوربية اصيلة لم يبرح دويها متجاوبا في وديان الثقافة والفكر . ومما يدعو الى السخرية او الرثاء . . ان هذه الاشباح لم تقرأ الفكر العالمي الرائع الذي تحاول تقليده . . كل ما استطاعت ان تناله هو : هذه الفضلات والشمالات تبعثرها الريح على موائد بعض المجلات المثقفة . . ابيات شعرية او قصائد قليلة عثروا عليها ككنز عظيم في كتاب نقدي مترجم عن حركة شعرية معينة ، كتاب واحد تلفوه لبيتوا من اوراقه القليلة « مجدا » فكريا . ويقف في الجانب الاخر شعراء مثقفون وقد اطبقوا باصابعهم على عنان لغة اجنبية ، ولكن بعضهم قد اقلت عنان لغته القومية . فكانت الكارثة ، وجاء كلامه متعثرا وبعيدا تماما عن المستقبلية الاصيلية او السربالية الرائعة . وهؤلاء تنقصهم المهبة والطبع الشعري . والكثير من القصائد العربية التي تتعلق باذبال السوربالية الزاهية ليست الا تقليدا منهكا ورديا لاشعار ادونيس العظيمة . . فلأنهم لم يفقهوا صفحة واحدة من ثقافة ادونيس الجيدة ، ولأنهم لم يسموا مطلقا بالمصادر الفلسفية التي ينهل منها ادونيس بريادة واصالة كبيرتين ، لم يطلعوا علينا الا بهذه الاسمال البالية والقبعة الفاقعة السيركية .

ويقف ياسين طه حافظ بقصائده في صف شعري ناهض يتقدم في طريق الشعر والثقافة . انه موكب شعري لم يعد طالما فقط . . انما استطاع ان يكشف مسافاته الخاصة ويحمل رايانه . وفي هذا الموكب نستطيع ان نميز بوضوح : حميد سعيد وعبد الامير معله وياسين طه

حافظ وسامي مهدي وخالد علي مصطفى وفاضل العزاوي وطراد الكبيسي وفوزي كريم .

والوحش والذاكرة اضافة جديدة الى مكتبة هؤلاء الشعراء . . ياسين طه حافظ يعيش ايامه بوحي وتأمل ، ومن هنا تبدأ مأساته . ومأساته هذه في الوحش والذاكرة معا . اي في العالم وفي كونه شاعرا . والوحش هو العالم . هذا العالم الذي يلتهم الخضرة النابتة في القلب ، ويعصف بالفضن الناهض وسط حثالات وانقاض « القبح » البشري ، والوحش يعيش مع الشاعر في الشارع والمقهى او في غرفة النوم . وهو وحش خرافي جديد اشبه بالهة الاغريق التي تهبط من عليانها وتتدخل في شؤون الناس وتبدل مجرى احداثهم كما تشاء . ويتجسد الوحش بوجوه عديدة . فيأخذ من « الذهب » وجهها له . . ويأخذ من التآخر الاجتماعي والرجعية الفكرية وجهها آخر . وهكذا يأكل الوحش مع الشاعر في طبق واحد ، ولكنه طبق مترع بلحسم الشاعر وبمظلمه . فالشاعر يأكل نفسه . وربما استطاع ان يرى في المجموعة وحشه الخاص . فلكل منا وحشه وذاكرته . ولكن الشاعر ياسين طه حافظ ، رغم كونه واقفا - في - العالم ، لم يستطع ان يمد نظره بعيدا فيرى الوحش الهائل الذي يتوعدنا جميعا . . الوحش الرهيب الذي جعل منا قبائل متفرقة واقطارا مبعثرة . ومن هنا فهذه المجموعة تصور جانبا وحيدا من وجه الوحش الكبير ، لانه الجانب الذي استطاع الشاعر ان يتلمسه جيدا .

عندما يقف الشاعر امام الوحش لا يجد غير الكلمة سلاحا . فالآخرون موتى في الليل ، لا يسمعون السيل الذي يزحف نحوهم، واللغة تنكوم رمادا على الوجوه . ويبقى الشاعر مشخنا ووحسدا لا يسمعه احد .

الكلمة

تلبس

توب رجال فضاء

لتجابه

وحش المأساة

وتقساوم

اعصار الداء .

فالشاعر يشهر كلمته في وجه العزلة التي فرضت عليه والبؤس الذي ينخر في جسد الانسان العربي ، بؤس قائم تركته اجيال طويلة . ولكن ما الذي تستطيع ان تصنعه الكلمة ؟ انها توقف الموتى . وفي عزلة المفروضة ينسى الشاعر ان هناك زيارة مفاجئة لم تخطف ببسال احدكم ذات يوم . وكان الثلج قد اطفأ الصباح الوحيد ، وهناك من يمشق الزيارة المفاجئة : انه يطرق بالحاح . ويدور المفتاح في الباب ، فاي خيبة مرة ! لا يجد الشاعر احدا . لعلها الريح مرت على الباب ، او لعله كان حلما عابرا . ويعود الشاعر الى نفسه وتبدأ قصيدته - الخرافة :

تطرق ما تزال ؟

لقد اتيت ، ها انا وصلت . .

اين انت ؟ اين انت ؟ اين انت ؟

وفي صحراء الزمان يقف الشاعر والعالم يزهر من حولسه . يقف نخله يابسة ، منتظرا هبوط الطائر الابيض ، ولكن الليل طويل والطير لا تأتي الا مع الفجر . ولكن ما الذي ينيه الطائر الابيض ؟ لعله الحب الذي يبعث الماء في صخرة الوحدة الكبيرة التي يحملها الشاعر على كتفيه . لم يعد يملك غير جث احلامه التي قضت نجحها على شاطئ الانتظار .

ليس الا الريح سوداء حزينة

ليس الا الركب قد ماتوا انتظارا

دون ان تأتي السفينة .

وفي صحراء الزمان تحمل السحب الضوء والبؤس . ولكنها في الحالين سحب صيف لا تروبه او تصجعه الا قليلا ، وعندئذ يخسر

الشاعر الدمعة والضحكة . ويقف فاعرا فاه .. ويداه خاويتان في عالم (تهجره السحب ، تملؤه السحب) دون ان ينال الشاعر شيئا من امتلاء العالم أو فراغه . وهنا يحس الشاعر بأنه مهجور من كل احد . ويكون موت الشاعر نهاية لكل شيء . فالسحب تفقد أي لون .. أي تنتهي تماما . وعندما تصبح السحب سوداء وبيضاء في آن واحد يكون الشاعر قد مات .

سوداء - عبادة امي ، بؤس الوطن
بيضاء - الفجر

سوداء بيضاء - موت الشاعر .

ويقترف الشاعر من الاسطورة القديمة والادب البابلي .. فيأخذ جلعاشم قناعا له . ولكنه لا يملك تلك القوة المجنحة التي دفعت بجلعاشم الى تحدي الموت والبحث عن البقاء السرمدي . أي التمرد على ظاهرة الوجود العابرة والتطلع الى الجوهر الكامن . والشاعر في وحدته وهزاله وانكسار عزيمته واجنحته لا يعلم ، اخيرا ، الا بالحانة ودفء النساء . يا لها من عودة خائبة حقا ، عودة جلعاشم هذه .

قد جئت بعد تسوس الاشجار ،

بعد تسمم النبيوع ،

بعد خسارني البلهاء من صوتي وعمري ..

لاصم امرأة واحتضن دن خمر

والشاعر تحت ثقل خيئته وانهباره يمد ذراعيه الفارغتين الى صاحبة الحان ، مبتهلا اليها ان تبقى منارا ابديا يهدي القلوب ((الضالة)) والقوافل التي اكل منها التعب ، بحثا عن الوهم . وفي هذه القصيدة يجسد الشاعر موقفا رهيبا عانقه كثير من الرجال وناموا على وسادته دون ان تهزم الزلازل الجديدة . هذه القصيدة تكوين فني رائع كان من الممكن ان ينهض به الشاعر عاليا .. لانها تحتوي على عنصر ((الشمول الفني)) . فانا اراها لا تخص مكانا أو زمنا معيناً .. انما هي تخص الانسان ككائن - في - العالم . فليست رحلة جلعاشم في هذه القصيدة الا رحلة الانسان في الكون .

يا ربة الحان الحبيبة انبل الاصوات ،

صوتك ، لو يظل بأبعد الحانات يهدي من يضل ومن يسافر .

الشاعر ، هنا يدعو الى الرجوع والنكوص وأطراح الاشرعة . ما الجبوى من البحث والرحيل ؟ هلموا الى الحانة الدافئة واغرقوا في ابخرتها . ! هكذا فهمت القصيدة . ولا ارى تفسيراً آخر لها . وقصيدة ((الوحش والذاكرة)) تجسيد لتجربة الحياة المريرة هذه ، عندما يقف الانسان وقد تفخت صدره ربح الامل كشرع شباب معافى . تبدأ القافلة سيرها الى التبع بحدوها أمل كبير . والشاعر انما يجسد هنا رحلة الحياة القصيرة . ولعل هذا يتضح أكثر في ((عودة جلعاشم)) . وفي هذه الرحلة المنهكة يفقد الشاعر أعز الناس واقربهم اليه . بعضهم سقط على تراب الطريق . وبعضهم عرج على حانة ما . او انفرد برحلة خاصة الى زاوية بعيدة . والفانوس الذي اوقد في بداية القصيدة قد انطفأ الآن . وما هو الشاعر لم يعد ينظر غير المصير . وهل هناك من مصير غيره ؟

قبل ان تلمح ضوء الفجر ، ياسمين الحزين

سوف يمضي ..

آه لو تفلق باب الذاكرة

آه لو يطفأ باب الذاكرة

الشاعر يريد ان يفهم عينيه على الوهم . وهو متعلق بامنية صغيرة : الموت بلا وعي . ويأخذ الشاعر من التاريخ العربي رمزا كبيرا : الحسين . ولكن الشاعر لا يرتدي هذا الرمز الكبير كقناع . انما ينغمس به حيناً ويتشفع به حيناً آخر . فهو يتناوله من الخارج . وهكذا تأتي القصيدة ، رغم بنائها الراسخ وجماليتها الطيبة ، أقل زخما فنياً من عودة جلعاشم . والشاعر في قصيدته هذه ((صوت من العصر)) يقيم بناءه الفني على فكرة المقابلة او التناقض . فهو يجسد موقفين مختلفين في موقف واحد .. يجسد شخصيتين مختلفتين على مسرح واحد وفي

فترة زمنية واحدة ، موقف الحسين الشجاع الحاسم ، وموقف الشاعر ، الانسان الخائف المتخاذل . وهذا التناقض بلقيسي ضوءاً وهاجاً على الموقفين .. تكون نتيجته دفعا قويا لفنية القصيدة . وبهذا استطاع الشاعر ان يضعف من شأن التناول الخارجي وآثاره التي كادت ان تلتهم القصيدة تماما .

لم يبق غير الجلد

عندي والعينين

يقف الشاعر عظما وجلدا في جانب .. وفي الجانب الآخر يقف

الحسين ((في دائرة البطولة)) ..

.. سيف الله في اليمن

وخضرة الجنة في القلب وفي العيون .

البطولة والايمان العميق : السيف والجنة . ولعل الشاعر قد استفاد هنا من شخصية الحسين كرمز شعبي عظيم يتعلق بسبه القوم كلما نزلت بهم المصائب . ربما كانوا يتوسلون الى الامسالك بشيء من شجاعة الحسين الخارقة وقد المت بهم كوارث الدنيا .

في القصيدة الاخيرة ((الشهيد الجديد)) ينتهي الشاعر بنفسه جديدة تماما ، نفمة ملأى بالثقة والتطلع المضيء . لقد ارتدى قناع الحسين هذه المرة . ويمكن ان نعتبر هذه القصيدة ((ميثاقا)) لقاصد الديوان جميعا . فهو هنا يمر بالمواقف التي اشرفنا عليها آنفا . وفي هذه القصيدة لا يأتي بشيء جديد الا في الوثبة الموسيقية الاخيرة .. الضربة العنيفة التي تنتهي بها السوناتا او السمفونية . نجد هنا مورا سريعا بالقافلة الضالة والبحث عن الوهم ونجسد الغاية ووحوشها ، حيث يقف الانسان عاريا وممزقا ووحيداً اشبهه بانسان الغاب او الكهوف . ولكنه يبدأ ايضا ، مثلما بدأ الانسان الغابي ، طريق حضارته وتطلعه الجديد ..

ضيع من دمائه الكثير

في صخب العشائر الهائج والقوغاء والحكام والشرائع

والآن ،

عصر المناهات التي يدفن في رمالها الانسان

ولم تستطع حرب العشائر الفظيعة هذه ان تقتل في الانسان ، اي انسان ، روحه الخضراء وتطلعه الوضيء . ولم تستطع ان تقتلع جذور الخضرة من عينيه وقلبه . فهو يواجه مأساته وقد انتصر عليها . لقد دار الزمن ولم يعد الوحش - العالم غير شيخ وانقراض يتخطاها الشاعر .

ولتبدأ الحياة

بكس ما يعاق في رؤوسنا من طحلب الزمن

وليكن الهتاف للبحار اذ تضج والسحب

البحر ؟ وهل يعني البحر غير الرحيل الابدي ؟ غير الحياة التي لن تقف ابدا ؟ انها ، اذن ، بداية رحلة جديدة ، ولكن الى اين ؟ وهنا اذكر قصة جيخوف الرائعة ((العروس)) .. تحلم ناديا بالرحيل الى الضوء والبهجة والفكر في العالم القائم ، في الانقراض نفسها . كان جيخوف يريد ان يقول : ان التطلع والحركة وحدهما يستطيعان ان ينهضا بالانسان عن كبوته ، من الفبار المتراكم والطحلب القبي . الضوء والبهجة كامنان تحت الفبار والقش ، كامنان في الطين .

لقد اغتسل الشاعر توا من الطحلب وبيوت الصناكب ، وامتلا قلبه بضوء الفجر .. وما هو يقف على الساحل المتلاطم ، تنفخ صدره ربح الامل كشرع شباب ومعافى : انه يبدأ من جديد . المهم ان ترحل ناديا (نديجا : اي الامل) في الحياة ، في الانقراض وعيناها لتلهمان الضوء الثاني .

في هذه المجموعة الشعرية الطيبة يدخل صوت الشاعر في الكورس . ولكن هذا لم يطغ على صوت الشاعر وعلى آهاته وهمساته الخاصة . انما استطاع ان يجعل من لوعته وتوجهه الشخصيين نفسا حارا متداخلا مع نشيد الكورس . لقد اصبح الشاعر : الكورس والبطل معا . وهذه خطوة جديده بالتقدير .

حسب الشيخ جعفر

بغداد

الخيل والنساء

مجموعة قصص للدكتور عبد السلام العجيلي

منشورات دار الآداب - بيروت

حين قراءتك لادب العجيلي عامة تصدمك تلك الحكمة الشعبية والبساطة الهادئة في نفسية أبطاله الى جانب وثوقية عمياء وايمان بالفنر والحظ والمعجزات يدفع تلك الشخصيات احيانا لاعمال غريبة وشاذة فأبطال قصصه اختيروا من وسط خاص منزول تقريبا عن المدينة اما يعيش على حدود البادية حيث العشائر ترتع بنفسية قبلية متمصبة ونفس ظمأى للثأر وحب الارض الذي يقرب من التصوف والغزو على من حولها ، واما ان يعيش وسط باريس او لندن او امستردام محتفظا في هذه البلاد الاوروبية نفسها بملاحظة الاعرابي المتعطر للجنس والاضواء واللذة .. انه الجوع لترف الاشياء ، للذة التثقل .. للذة التخلص من القوقعة ذلك هو الجانب الثاني من ادب العجيلي .. لقد أعطانا في الصورة الاولى ازمة راكب الجمل .. ثم عكسها لنا حين يركب الكاديلاك والامبريال .

هذه الملامح من كلا الجانبين نجدها اوضح ما تكون في قصة سالي حين يتعرف ذلك القروي الذي جاء من شمال سورية بحمل في سمرة ملامح نجدية اصيلة وقسوة ظاهرة محببة لسدى النساء الاوروبيات اللاتي ملن الترف والنومة فثار فيهن ذلك التشوق للرجل الشرس .. انه حين يلتقي بسالي وهو الضائع وسط ضجيج الالوان وبريقها يشعر باشياء كثيرة تشده اليها لكنه يقف امام ازمة جديدة لم تكن تمر بباله .. مشكلة الاخلاق .. لقد ظن ذات يوم ان كل شيء مباح في الغرب .. لكن سالي تصده تذكروه باخلاقية قومه .. فهل تلوث ام لا زال بامكانه ان يتمسك ؟ انه يمر باعظم تجربة .. امرأة فائنة ورجل من قرى الشرق جاء يحمل كل جوع قومه وتمتعشهم للجنس ، تجمعهما غرفة واحدة .. كل ذلك الحرمان يثور فيه كالفواخ صغيرة جائعة للحم الاشقر الملقى باهمال في غلالة رقيقة على فراش لا يبعد اكثر من خطوة .. انها حين تذكروه باخلاقية عند محاولته لامتلاكها يشعر بالفضب .. بالحقد على ذلك الجدار الفاصل بينهما .. جدار العفة .. ورغم ذلك .. رغم نار الجوع الجنسي المحرقة يرضخ اخيرا .. وعند وداعها في طريقه الى البادية .. لا يستطيع ان يصبر فيعاوده الحنين اليها يثور فيه رغبة الامتلاك فيعود بحجة العشيبة ليرجع بسالي ..

لقد طرح العجيلي ازمة بطله بمهارة جعلت من فشلها بامتلاكها اول الامر بطولية رغم شعور الخيبة في اعماقه .. لم تكن الازمة في القصة ازمة رجل من الشرق وامرأة فائنة في غرفة واحدة ، انما كانت خلف ذلك ازمة عشيبة تعيش في صراع دموي من أجل الارض ، انها عشيبة بطله وعشيبة الصفرات .. فبالرغم من ان البطل كان يعيش في أوروبا .. في ضجيج الحضارة والالوان ، فهو مشدود الى باديته الخضراء المنبسطة هناك في الخان .. لقد دارى بطل القصة فشلها بالامتلاك اما لو عدنا الى فشل آخر .. فشل عمه حمود الذي عشق ذات يوم اجنبية حلوة جاءت الى البادية مع زوجها في بعثة علمية .. ماذا فعل عمه حمود ؟ حتما لا شيء .. لقد كان جيل ما قبله عاجزا عن الامتلاك لكنه يملك الصبر والبساطة ..

تلك هي قصة سالي .. وتلك هي ازمة بطله .. وانطلاقا من سالي .. الى كفن حمود الى طراد .. نجد ان العجيلي يلتقط صور ابطاله بدقة ومهارة بحيث يحافظ على خطه المميز في الادب .. الذي تابعه في مجموعته الاخيرة « الخيل والنساء » .

ما هي ازمة البطل في الخيل والنساء ؟

لنبدأ بقصته الاولى .. وهي نفسها عنوان الكتاب .. ان نجود بنت الساري زفت الى عثمان .. وبدأ العجيلي بعد ذلك التدخل ..

يتابع سرده .. بشكل تقرير ي لا نشعر فيه بذلك الجو الادبي المتمتع الذي تعودناه في قصصه السابقة .. يتابع سرده ونسجت عن البطل فلا نكاد نجد له .. انما تصدمننا تلك الفكرة .. فكرة الربط بين قيمة المرأة والخيل من حيث القيمة في المجتمع الذي يصوره العجيلي .. وهذا امر لا جدال فيه .. انما فكرة الطراد .. لقد تكررت في هذه القصة كما تكررت في قصة أخرى تحمل نفس الاسم .. انها اقرب ما تكون الى لوحة مكثفة قائمة الالوان تمر فيها الكلمة دون حركة .. او عرض جامد لا نكاد نشعر بأبطاله يتحركون الا ببطء كتماثيل من الشمع يعرفنا بها الكاتب .. وهذه الحركة البطيئة قتلت حيوية القصة وغيرت جوها فابتعدت عن مسرحها الحقيقي .. اننا لا نكاد نشعر بذلك الحزن العميق الذي تحسه نجود للفقدان ولدها الغالي كما اننا لا نلاحظ الرابطة بين الخيل والنساء من حيث القيمة الا من كلام العجيلي نفسه لا من حديث ابطاله او حركاتهم اننا لا نرى اية ازمة حقيقية في قصته الاولى .. انما هي مجرد حادثة عابرة مروية في مكان ما بعيدة عن جوها الحقيقي .

ثم ننتقل بعد ذلك الى قصته الثانية لقاء كل مساء .. ماذا يريد ان يعطينا العجيلي في قصته هذه .. اننا نفهم منذ اللحظة ان بطله مسافر شرقي في رحلة حول العالم يصير على انه يريد من رحلته دراسة الحياة ، فما هي هذه المواد التي أراد ان يستقي منها فلسفته عن الحياة .. امي ليليان .. تلك الراقصة الصغيرة العائدة من بيروت .. ام هو اصرار الدكتور يانابولوس طبيب الباخرة على ان يتمتع الفرد بشبابه .. بعد ان ذاق مرارة الخيبة في حبه الخيالي الذي دام سنة عشر عاما ثم توجه الندم حين اكتشف حقيقة حبيبته .. والا حب في الدنيا ..

ام هي « س » تلك الجهولة التي لا تعرف عنها شيئا سوى انها كان يجب ان تكون مدرسة فلسفة .. ما هي الفكرة التي خرج بها ذلك الشرقي بعد ان ارتوى من الجنس من جانين ونيكول وسوزان .. وغيرهن من الفاتنات ؟ .. ما هي النتيجة التي خرج بها بطل لقاء كل مساء .. بعد ان تعرف بكل مغايبي بيجال والفولي برجير والشانزليز وروائع اللوفر ؟ ..

هل استطاع بذلك البريق الوهاج والمتعة ان يقتل رغبة الشوق للحب الرومانتيكي العذري .. الذي فطم على قصصه وعاش ابطاله في سهرات القرية .. عايش قيس ليلي .. وجميل بثينة .. وكثير عزة ؟ .. لا ابدا .. لقد حن للقاء كل ليلة وفي ساعة معينة كما كان يفعل الدكتور يانابولوس في نظرة خاطفة الى نجم بعيد .. هل استطاع نعم الدكتور ان يحول نظره عن الحب العذري ؟ .. هل استطاعت اقبية الحي اللاتيني ان تفعل ذلك ؟ .. ابدا .. فشقيقته لا زالت في اعماقه رغم غيار المسافة .. فنراه يصرخ بهرارة :

« يا نابولوس .. يا نابولوس .. اغفر لابداشا مسكا خيانتها .. فانها اعطتك ستة عشر عاما من غبطة ما زلت منذ سنين طويلة أبحث عنها فلا أجد الا المتعة التي تعقبها مرارة في الفم .. وخواء في الروح » .

من ذلك نجد ان الشرقي لا يستطيع ان يتخلى عن روحانيته .. ان ما سماه اول امره « دروسا عن الحياة » انصح له في الاخير زيفه .. فقلات ليليان .. وليالي بيجال وسهرات الزودياك لا يمكن ان تشبع ذلك الجزء المهم من عقيدة الشرق .. الا وهو الروح .. لقد كانت ازمة « م » ازمة صراع بين روحانية الشرق ومادية الغرب .. انتهت بالخيبة والمرارة ..

وبعد ذلك الجو المتمتع ينتقل بنا العجيلي الى قصته ألوان مسن التعرية .. وهي ثلاث حوادث يرويها لنا رجل لا نعرفه .. لا تحمل في حوادثها اكثر من صور ملتقطة عن نوعية خاصة ونمط معين لرجل القرى في مرحة وقصوته فاحمد ابو حسين بليس ثياب السطيق في العرس ليقدم لنا لونا من الدعابة القروية كما ان انتقام صلال من هلال السالم في الحادثة الثانية ينتهي نهاية مؤلمة وقاسية ونصل السى ذروة التازم

في حادثة فنان بن عاص الخشمان التي قادته حدة الطبع والغيرة الى قتل ابيه . .

في هذه الحوادث الثلاث نجد ان الكاتب لم يطرح اكثر من الوان مختلفة لا يربطها الا رابط بسيط فيه الطرافة وفيه الماساة . . وهذه القصة تذكرنا بنوادر الجاحظ وطرائف ابي الفرج الاصفهاني لولا ذلك الجو المأساوي في الحادثتين الاخيرتين المشحون بالدم والانتقام . فهي قطعة جاهزة لم يمر قلم المؤلف عليها بتهديب او تزويق ، خلف بساطتها تتكاثف غيوم الفجيعة وقسوة العادات والغيرة . .

فهلال السالم لم يستطع كبت تلك الثورة الجامحة . . وتلك الرغبة بالانتقام من صلال . . فانهي ازمته بالدم بغسل العار الذي الحقه به صلال حين جعل منه اضحوكة وهو بعريه المفضوح يسير امامه . . اما فنان فقد قتل اباه حين رآه يعري والدته ويسيرها في دروب القرية .

وننتقل بعد هذا الى قصة من الذي اقتل ؟ . .

فما هي ازمة البطل ؟ . . انها ازمة اجبار على القتل . . اما ان يقتل او يقتل ففرامل السيارة معطل وهي تسير بسرعة جنونية على طريق جبلي خطر . . فماذا يفعل ليرضي غريزة البقاء وحب الحياة ؟ . . ايقبل سائق هذه الشاحنة الكبيرة . . انه لا يستطيع . . ايقبل ركاب هذه السيارة الصغيرة . . لن يستفيد شيئا . . لانه لا يمنع ممن السقوط . . ايقبل من في تلك السيارة المقبلة . . سيفعل . . ولكن وجه طفل بريء يهزمه في آخر لحظة فيعدل عن القتل . . ويتنفس الصعداء اخيرا حين يسيطر على السيارة المتمردة . . انها لحظة تازم خطرة يتراجع فيها البطل على حافة الموت . . تدفعه كف القدر . . الذي بات هو الحكم في تلك اللحظات .

والمآخذ الذي يؤخذ على هذه القصة حشو اشياء لا علاقة لها بازمة البطل فلنقرأ هذا المقطع منها :

« كنت في كل هذا السير اتحدث او اعلق او اصغي وأنا اسوق الكاديلاك وبدي على مقودها الطيب . . وقدمي مطمئنة على ضاغط البنزين . . ازيد السرعة او اخفضها تاركا لجهاز تبديلها الاتوماتيكي . . ان ينظم سيرها . . دون ان اشغل بالي بما يشغل سائقو السيارات ذات الجهاز اليدوي . . لتبديل السرعة من اهتمام بارتقاء المرتفعات او النزول في المنحدرات . . ان الكاديلاك تسير على الارض المحصبة وكأنها تدرج على ريش النعام . . فكيف سيرها في دروب لبنان العريضة واسفلتها الاملس . . »

ما يهمنا نحن من طريقة سير الكاديلاك . . وما علاقة القارئ بضاغط البنزين او جهاز التبديل الاتوماتيكي . . ان علاقتنا هي علاقة بين البطل ونفسيته لا علاقة بين الكاديلاك وطريقة سيرها . .

اما في قصة « على فم البئر » فيعود بنا العجيلي الى البادية من جديد .

وكعريف حفلة يقدم لنا بطله الجديد ليقص علينا قصته . . بطله الذي لا يستطيع ان يتقدم الى المسرح دون اشارة من الكاتب . . فاكثر ابطال قصص العجيلي يخضعون لاوامره . . ونزواته . . ان امرهم بالكلام تكلموا . . وان صمت صمتوا .

فهذا غثوان رجل ليل عريق . . شاخ فسكن الى الحياة الهادئة . . يعيش بلا ازمة . . ولا فكرة . . مجرد تكلمة عدد . . بعد ان انتهى دوره وعافه الليل لكبره . . يلفس حياته :

– كل الناس سارق او قاتل بصورة ظاهرة او مخفية والذي لم يسرق او يقتل فانه يكون عاجزا او ان الفرصة لم تنهيا له .

ثم يردف ذلك ببساطة يعزي نفسه :

– عفا الله عنا . .

ذلك هو غثوان . . رجل بلا قضية . . كتلة مهملة من التمصب الاعمى تمش بنفسية قبلية . . يسرق . . ويقتل وكل ذلك لا يعني لديه

اكثر من طريقة في الحياة . . حياة الليل . . والليل في البادية يختلج عن ليل المدينة . . فليل البادية يحمل في صفائه وامتداد سواده الاف الاحداث الدامية حين تمزق عتمته اصوات الرصاص . . ونباح الكلاب . . اما في المدينة فلا يحمل اكثر من الاضواء والاجساد التي تتعري تحت النور . . من كل ذلك الماضي الرهيب الذي عاشه غثوان لا تؤثر فيه الا حادثة واحدة . . حادثة ثار . . يتوجه مع صديقه ضاهر الذي يبحث عن رجل ، « مغلي » اغتصب اخته وهذا ما لا يفسله الا الدم . . دم « المغلي » وحين يتوصلان اليه ينفذ ضاهر قانونه الرهيب يفرس رصاصة في صدر الرجل . .

انها العشييرة . . وقانونها يجب ان يسير . . وبعد ذلك يعود ضاهر مسرور القلب . . بينما يحمل غثوان الندم في قلبه والرحمة فرغم قسوة القانون وايمانه المطلق به ، لا زالت للانسانية مكانة في قلبه اقوى من العشييرة وقانونها . . تلك هي قصة غثوان . . التي كان يجب ان تعالج بطريقة افضل يلعب فيه السلوك دوره الفعال . . الى جانب الحركة الابحاثية . . ان قصة حياة غثوان تصلح لرواية اكثر منها لقصة قصيرة . .

هل ينقذها ؟ . . ام يتركها تموت على ايدي عائلتها غسلا للعار ! تلك هي ازمة الدكتور سامي حين يقف وجهها امام قضية المسؤولية . . فهو مسئول عن شرف مهنته كطبيب . . مرتبط بقسمه عند التخرج . . كما انه مسئول عن حياة انسانة زلت . . فتراها تتارجح كفراشة ملونة حول النار . . لحظات وستسقط لتحترق . . هل يتركها لمصيرها الاسود ؟ . . ايها اقوى انسانه الطيب . . ام انسانه الانساني . . الذي يصفح ويففر . . هل تدخلت الغيرة في الموضوع . .

لقد كانت مها بالنسبة للدكتور سامي شيئا آخر . . له امتيازته الخاص . . يجله ويقدمه . . فهل تغلب عليه الانانية ؟ ام هو الواجب الذي دفعه للرفض . . رفض انقاذ حياة انسانة ضالة تتوسل له . . مسترحمة ذليلة .

تلك هي الازمة التي يطرحها لنا الكاتب في قصة « حالة مها » لقد رفض التوسلات والدموع فوجع الخاصرة اليمنى لم يكن هو الاساس . . لان النهذ اليسار لم يعد بكرة . . تحطمت الصورة المثالية فسي باله فثارت انانيته تبحث عن التعويض . . لم يكن الواجب هو الاساس للرفض لان الانسانية فوق الواجب . . لقد كانت سادية من الدكتور سامي ان يترك مها لمصيرها الخيف . . وتتوتر الازمة حين تظهر مها من جديد في حياة الدكتور بعد انقطاع وتساؤل فيقطعها من جديد : كيف حال خاصرتك اليمنى ؟

– اجهل في ايام صباك والا فانك ستجهل حين تسيخ وتكبر وستكون عند ذاك مصيبة ؟ . .

كلمات جارتها تعود اليه الآن وهو ينتظر تحت المطر كمراهق شاب دعوة حبيبته . . ليتسلق نافذتها . . رجل جاوز الاربعين . . ذو مركز ممتاز وزوجة واولاد . . ذلك هو سامح بسك بطل قصة « ضوء في النافذة » .

فما هي الازمة التي يمر بها البطل ؟ . .

انها ازمة مراهقة ما بعد الاربعين . . لقد عاش صباه مستقيما مجدا . . لا يعرف ما يعرفه اصحابه . . وحين جاوز سامح العقد الرابع من عمره . . عاد اليه شوق المراهق الشاب فماذا كانت نهاية المطاف ؟ . . عاد بالخيبة والندم . . وهما الشقان المهمان في هذه المجموعة . . لقد قدم لنا العجيلي هذه الصورة في اطار يختلف عن اطار قصته « الخيل والنساء » . . ففي هذه القصة يزحمنا حضور البطل الحاد . . اننا نكاد نلمس قطرات المطر وهي تبلل معطفه . . نكاد نشعر بذلك الانتظار المرض . . ياكل اعصابه . .

الأعور الدجال والغرباء

ديوان لشاذل طاقة

« .. تصنع الشاعر سيجمل من عدم قابلية المكان للاختراق ، من تخشبه الأشبه بتخشب جثة ، قوة فاتحة غازية ، ومن قابلية القسمة الى ما لا نهاية تبرعما مظفرا .. »

— سارتز —

الشعر ليس (الاصل) و (التصور) . انه نقطة الارتكاز المستبدة في عالم الرؤى المجردة ، والوحي اليقظ . والشاعر يلتصق بالكون في موضع (الحذر) . ارتباطه قدرتي وذو طابع تأملي (حيناً) وآن منقطع بدافع الاختيار الحر — حيناً آخر — وبهذا يريد تحقيق (الديمومة المباشرة) مادة وجوده ، بالإيجاز الذي لا يبدو ان يكون تقيرا في سرعة الرد ، بفعل الاستجابة والتي تريد توكيد ذاتيته من خلال التمررد والصفاء والرموز (التي لا نفهمها !) ، والشاعر يمتلك ميزة التوغل في تكوينات المرئي واللامرئي يتخايل .. ينشر كالظل في كل مكان ، ينسلق .. يسقط ، بصمات تطفله تدمع كل الأشياء ، تعلم الناس كره وحب الحياة .. تكشف لهم فذارة العالم ، يحمل أشعة (لاوعيه) نحو البحر ، يقصد مجاهل القمر ، ينيه وأحياناً يؤمن بالمعجزات .. فيمضي فسي عبق الكون ، يتصوف في عيني امرأة ، يرتبك في مرارة فشله ، يذوب .. كأي شيء صغير .. نافه عظيم !

والشعر عالم الأشياء التي تدرك (يضم الناء) وتدرك (يفتح الناء) بالحس من خلال الحدس الفطن ، وتجارب (شاذل طاقة) تلحم فسي مواقف تلمزه بالفعل لان يعيش ولا يملك ازاءها حتى (الاختيار) . والتصوير عنده ليس فقاعة من الانفعال ، بل رأس بوجوه عديدة ، بملامح متباينة ، وبهذا ينظر للعالم بعيون كثيرة ، ومن زوايا مغايرة . و (هو) لا يشير الى حالة من الانبساط ، بل الى « التجاوز » السذي ينطبق ، والذي لا يد وان يطابق انطباعاً عاماً .. يقابله على الدوام فكرة توازنه ولا تتباين واياه الا في الحيوية فقط :

سألت شجيرة الكافور ،

قلت :

لعلها تدري

بانا ذات اسمية

زرعنا فوقها قمرا

صغيراً أسود العينين

اشعلنا له شمعا وكافورا

وفديناه بالنذر

فذاب الكحل مبهورا

واحرقنا أصابعنا .. ولم ندر !

والقيم عنده وجود .. تشير فضايا (الممكن) و (غير الممكن) من جانب الالتزام الطبيعي كأنسان ! لذا فممارسته للاعتقاد لا تتم ما لم يعتقد بأنه (ممكن) وذو مغزى .

و (طاقة) في عبوره المستमित لا يفرض ادراك شيء معين على نحو خاص ، بل يجزم وأحياناً يتنبأ في عالم وحده الأول فيه والآخر . والشعر عنده ضوء صاخب في خطوط بصماته ، ترسم وجوده بأخلاص وجدية وخوف وجبن .. انه انسان بكل التناقض ، لكنه ليس بالميكانيكي والذي يخال للغير اسير الاحزان والنشوة :

نبوءتي .. يا اخوتي

قصيدة .. جميلة .. كالفيت في نيسان

ارتباطه مصيري بصوت الامس والحاضر ، صدها الخافت تنهاوي

ان تلك الحيوية التي تندفق بها قصة ضوء في النافذة .. اعطتها ميزة خاصة لا يقدم الكاتب بطله بل منذ اللحظة الأولى وثبت وجوده .. دون ان نلمح شبح المؤلف يتلصص من وراء كتفيه ليشرعنا بنفسه .. اننا ننسى كل شيء الا وجود البطل وهو يمر بأزمة معاناته الانتظار والقلق .. ليبدء آخر الامر بالندم والخيبة ..

اما في قصة ثلاث رسائل اوروبية .. فيقف بنسا العجيلي موقفا لخطه الاول فمروان .. ذلك الشاب اللاهي في مراتع باريس يتأزم فجأة بين ذلك الشعور الجنسي الذي يعتبره الجزء المهم من حياته كشرقي .. وبين شعور العربي الذي يحمل القضية حضورا حادا في دمه تثيره رسالة امرأة من زاوية صغيرة في برن . فهل كان البطل منتما للقضية التي يشعر بها .. لم يلمسها .. لم يلتصق بها بشكل صميمي الا في شارع من شوارع باريس ؟ .. هل استطاعت جادة سان دنيس بملاهيها ان تصرفه عن اولئك الرجال السمر وهو الذي جاء يبحث عن التسلية .. اولئك الذين ألقوا صمت باريس الفافية بالموسيقى والاصواء تسانداهم نساؤهم .. لا أبدا .

لقد أثارت تلك الرسالة فيه شعور الانتماء الصميمي .. لأولئك الذي داسهم البوليس الفرنسي كالكلاب القدرة في شوارعه .. فذلك الرجل المهشم الرأس .. المبقور الامعاء قد يكون من دعاها ذات يوم للذهاب معه فرفضت .. فما كان منه الا ان بصق في وجهها .. لقد أثارت تلك البصقة كبرياء الشقراء الأوروبية بينما كان آلاف الرجال يفسلون بدمهم قلب باريس المخضبة بالاصواء وصراخ النسوة الغاضبات : اضربوا .. اضربوا لا رحمة لهذه الكلاب ..

وفي زحمة المترو يلتقي مروان بفرنسية شقراء حيث يثور فيسه حين الجنس وهو الذي رأى الدم العربي يفسل الشوارع .. فتتوتر أعصابه .. يضطرع فيه شعور الجنس بتأزم القضية فماذا تكون النتيجة ؟ .. انه حين يمسك بذراعها تقع عيناه من خلال النافذة على منظر انسان يستند الى جدار النفق بجذعه ينشج وجهه بالالم بينما يسيل من ملتقى الشفتين خط أحمر من الدم كان جزائريا .. ويصيبه الدوار .. يشمر بالفتيان .. وحين يخرج يقبيء ..

كل ذلك الشعور المر تثيره رسالة امرأة سويسرية كتبتها فسي زاوية صغيرة من مقهى في برن .. غضبت لان جزائريا ذات يوم بصق في وجهها .. لقد ثارت لكرامتها فكيف لا تتور لكرامة ملايين المساجين في بلدهم .. آلاف القتلى تحملهم السيارات من الارصفة لترميهم فسي الحظائر كقطع مذبح في مسلخ .. وبعد ذلك ماذا تقول تلك المرأة : ان العالم سييء .. سييء يا صديقي .. تلك آخر كلمات ادنا الى مروان . وتلك هي الحقيقة .. ولكن هل الاقرار بالحقيقة يفيد بينما ممارسة القتل والتعذيب بات من هواية الحضاريين الجدد .. لا .. أبدا ..

وكلمة اخيرة لقد ارتفع العجيلي بقصته هذه الى رفيع اسلوبا وفكرة ..

ولنا فيه الامل بابداع آخر .. والى اللقاء ..

ابراهيم الجرادي وعبد الله ابو هيف

(من جماعة ثورة الحرف)

الرقعة — سورية



ملاحمه في صفة الفد .

الفكرة ، وعالم الاشياء مالد على مدى اليد تستمد منه الصور والكلمات
- صلاح عبد الصبور - من مقال : رحلة الشاعر -) .

وبهذا يكسر الشعاع المستقيم والمستديم ، في واقع الرؤى المنظورة
والتمحسة والحسوسة ، وليس الامر في أخذ القضايا بعين الاعتبار ،
بل نوعية وكيفية واسس الاعتبار .
وشاعرنا يقظ في حالات الملاحظة للنشاط التاريخي ، لا يهمل
التنسيق التعبيري على وجه الضبط ، لكنه في الوقت نفسه موقف غير
معين ، بل وغير محدد .. بالرغم من كونه واضحا .. ومخلصا :

وفي الصبح قام على الرابية
- طيب تدلى عليه نبي مزور
وقد فقت عينه الثانيه

وتجارب (طاقه) تتناحر ، كأية موجودات تملك صفة البقاء ،
وحق البقاء ، بين المباشرة والقوية السطحية ، والنزوع الصميمي الى
غور بذرة الوجود التي تمثله ..

فنجده (حيناً) كفارس مخضب بالدم ، ومعفر بالتراب حيناً آخر .
لكنه يبقى كوة تبصر ، تمتد بمدى واقعه ، لتمثله كتجربة حقيقية
.. اثبتت على الاقل انها موجودة في زحمة العالم الكثيف ..

زهير غانم

الموصل - العراق



اختياره يمتد في عيب النهار ، يقترب ، يتسوه بسقوط الماضي
واندحاره الحاضر (الزمني) ، في خوفه يستلهم الغير ، يفضل طريقه
المتيق ، يحتضن ألم العالم ، حنان اغترابه لا يهدأ في الداخل ، ولا
يلين في الخارج ، ضجره مؤرق ، راحته مؤرقة ، عناده .. أكثراته ..
رفضه .. تناقضاته - كلها - .. تسقط ، تنهض ، بجذوى :

انا لست من تبقى

مسيحك مات في المنفى

وورثني ديونه

وانا القريب

(طاقه) ينزف من دواخل الصورة ، وميزة تفرده تبرز بجلاء ،
فوجهه يتحول في الصور ، الى قصيدة ، وقصيدته تتحول هي الاخرى
الى (حكاية) .

اننا ازاء اعماله نلمس نسب فنيته الخلقية الجيدة والخاصة ،
وازمة التركيب عنده تجيء مباشرة ، كباحث عن الصفاء المميز لصوت
شمولي يمثله ، وبالتالي يمثل جيل رفض رفض الرئاسات الحزينة ،
والحنونة ، ونذور البراءة .

بهذا يعلن الانسجام .. استنادا الى اساس التفسير :
في رحم كل امرأة محمد جديد .

طاقه .. يعاني من التوحد .. (التوحد هنا ليس مرادفا للوحدة ،
ولكنه درجة عالية من انصراف الذات الى تأمل ذاتها ، او اندماج الفكرة
مع نفسها ، وانسلاخها عنها آلاف المرات ، ومن خلال جدل صميمي حاد ،
فالفكرة تجاهد لكي تنظر في مراتها ، والمرأة تجاهد لكي تبعد في تصوير

هكذا انتصر الفيتكونغ

بقلم

رمون نياطي

« فةد » الفيتكونغ « منذ ان دخل في حرب المواجهة المباشرة مع اميركا ما يقرب من نصف مليون
مقاتل ، خلاف الجرحى والاسرى ولا سيما الذين تلفت اعصابهم وانهاled عليهم اليأس .. ورغم ذلك ،
صمدت الجبهة ، وواصلت الكفاح بعزم أكبر ، وبقدرة دفاعية اقوى حتى استطاعت ان توجه ضرباتها المتتالية
في قلب العاصمة سايفون التي تنتظر الآن هجوما كاسحا عليها ...
« لقد استطاعت الجبهة ان تفقد كفاح الجماهير الشعبية وان تصمد بطولته امام اكبر واقوى دولة في
العالم .. وقد اقتنع العالم كله بشرعيتها ولم يبق الآن سوى الاعتراف بها رسميا ، ومن جانب الولايات
المتحدة اولا .. وهكذا انتصر الفيتكونغ » .
كتاب نحتاج اليه الآن ، لانه يحمل لنا دروسا كثيرة في نضالنا وكفاحنا لاستداد ارضنا المسلوقة ..

صدر حديثا

٢٥٠ ق. ل